8

سيرة الرسول ﷺ

لكل الأعمار

غزوة الخندق

وصلح الحديبية

الأستاذ الدكتور

أحمد عمر هاشم

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

مستشار النشر

أحمد جمال الدين

رقم الإيداع

٢٠٠٥ / ٩١٤٢

الترقيم الدولى

٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٩٥ - ٧

الطبعة الثانية

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : سيرة الرسول ﷺ لكل الأعمار

المؤلف : أ.د. أحمد عمر هاشم

الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة

E-mail:atlas@innovations-co.com

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

• • • •

تطلب جميع مطبوعاتنا من

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص . ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ - هاتف ٤٢٥٣٣٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦

فاكس : ٤٢٥٥٩٤٥ جدة - تيفون وفاكس : ٦٢٩٤٣٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن
يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِّيَجْزِيَ اللَّهُ
الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ
إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٥].

مقدمة

نطالعُ في هذَا الجزء من السيرة النبوية العطرة حَدَثَيْن عظيمين ومهمَّين غيَّرا مَجْرَى الأمور، ونقَلا الدعوةَ الإسلاميةَ إلى مرحلة جديدة، وهيَ مرحلةُ التمكين والسيطرة علَى الجزيرة العربية، وأصبحَ المسلمونَ في موقف الهجوم بعدَ أنْ كانوا في موقف الدفاع.

ذانك الحدثان هُمَا :

غزوةُ الأحزاب (الخندق)، وصُلْحُ الحُدَيْبيَة.

فَفي غزوة الأحزاب نصرَ اللهُ جُنْدَه المؤمنينَ الثابتينَ علَى الحقّ في وَجْه أعتَى جيش عرفَتْه

الجزيرةُ العربيةُ حتَّى ذلكَ الوقت، فتجلَّتْ معجزاتُ الله وتأييدُهُ لجنده، وهزمَ الأحزاب وحدَه، إنَّه علَى كلّ شيء قديرٌ. وأمَّا صُلحُ الحديبية فقدْ أتاحَ للمسلمينَ فرصةَ الانطلاق بالدعوة الإسلامية إلى خارج الجزيرة العربية وداخلَها بعدَ تأمين جبهة قريش التي تُشكّلُ أكبرَ عدوّ للدعوة. فإلَى صفحات السيرة النبوية نطالعُ هذين الحَدثين.

غزوة بدر (الثانية)

استدارَ العام وحانَ الموعدُ الذي ضربَه الرسولُ ﷺ للمشركينَ بعدَ غزوة أحُد، أنْ يلتَقُوا في بدر، وقدْ جمعَ النبيُّ ﷺ المسلمينَ وأعدَّهم لملاقاة المشركينَ في الموعد المحدد والمكان الذي شهد أول انتصار للمسلمينَ على أهل الشّرك والضلال.

ففي شعبانَ سنةَ ٤ هـ / يناير سنةَ ٦٢٦ م، خرجَ رسولُ الله ﷺ لموعده في ألف وخَمْسمائة، وكانت الخيلُ عشرةَ أفراس، وحمل لواءَه عليُّ بنُ أبي طالب، واستخلفَ على المدينة عبدَ الله بنَ رَواحةَ، وانتهَى إلى بدر، فأقامَ بهَا ينتظرُ المشركينَ[1].

(١) الرحيق المختوم ص ٣٣٥ بتصرف.

وأمَّا أبو سفيانَ فخرجَ في ألفين من مشركي مكةَ، ومعهُم خمسُون فرسًا، حتَّى انتهَى إلى مُرّ الظهران، علَى بُعد مرحلة من مكةَ، فنزلَ بمجنَّة، وهوَ ماءٌ في تلكَ الناحية.

خرجَ أبو سفيانَ من مكةَ متثاقلاً يفكر في عُقبى القتال معَ المسلمينَ، وقدْ أخذَهُ الرعبُ، واستولَتْ علَى مشاعره الهيبةُ، فلمَّا نزلَ بمُرّ الظهران طارَ عزمُه، فاحتالَ للرجوعَ، وقالَ لأصحابه:

- يا معشرَ قريش، إنه لا يصلُحُ لكُم إلا عام خصب تَرعُونَ فيه الشجرَ وتشربونَ فيه اللبنَ، وإن عامَكم هذَا عامُ جَدب، وإنّي راجعٌ فارجعوا.

ويبدُو أنَّ الهيبةَ كانتْ مستوليةً علَى مشاعر الجيش أيضًا، فقدْ رجعَ الناسُ، ولم يُبدُوا أيةَ مصادمة لهذا الرأي أو أيَّ إصرار أو إلحاح علَى مواصلة السير للقاء المسلمينَ.

وأمَّا المسلمون فأقامُوا ببدر ثمانيَ ليال ينتظرونَ العدوَّ، وباعُوا ما مَعهم من التجارة فربحُوا بدرهم درهمين، ثمَّ رجعُوا إلى المدينة وقد انتقلَ زمامُ المفاجأة إلى أيديهم، وتوطَّدتْ هيبتُهم في النفوس وسيطُروا على الموقف[1]. وتُعرَف هذه الغزوةُ بأربعة أسماءَ:

بَدْر المَوْعد.

بدر الثانية.

بدر الآخرة.

بدر الصُّغرَى.

(١) السابق ص ٣٣٦ وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٩، ٢١٠.

غَزْوَة الأحزاب (الخندق)

اليهودُ وتأليبُ الأحزاب

كانت قريشٌ تودُّ أن تنالَ منْ رسول الله ﷺ والمسلمينَ بعدَ مَا أصابَها من خزي ونكسة في غزوة بدر الثانية.

وكانَ يهودُ بني قَيْنُقَاع وبني النَّضير الذينَ أجلاهُم النَّبي ﷺ عن المدينة بسبب غَدرهم وخيانتهم في غيظ كذلكَ، فَسَعَوْا للقضاء على المسلمينَ الذينَ أجلَوهم.

خرجَ عشرونَ رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكةَ، يحرّضونهم على غزو الرسول ﷺ ويوالُونَهم عليه، ووعدُوهم من أنفسهم بالنصر لهُم فأجابَتْهم قريشٌ. ثمَّ خرجَ هذا الوفدُ إلى غطفانَ فدعاهُم إلى ما دعَا إليه قريشًا فاستجابُوا

لذلكَ، ثمَّ طافَ الوفدُ في القبائل يدعُوهم إلى ذلكَ، فاستجاب لَه من استجابَ. وهكذَا نجحَ ساسةُ اليهود وقادتُهم في تأليب أحزاب الكفر علَى النبيّ ﷺ ودعوته والمسلمينَ[1].

وقد تجمَّعتْ هذه القبائلُ في جيش ضخم يبلغُ عددُه عشرةَ آلاف مقاتل. ولمَّا علمَ الرسولُ ﷺ بذلكَ لمْ يأخذ قرارًا قبلَ أنْ يستشيرَ أصحابَه، كمَا هي عادتُه في مثل هذه الأمور، فأشارَ علَيه سَلْمانُ الفارسيُّ بحفر الخندق حولَ المدينة منَ الجهة التي يتوقَّع أنْ يأتيَ العدُوُّ منهَا وهيَ جهةُ الشمال.

(١) الرحيق المختوم ص ٣٣٨ بتصرف.

حفر الخندق

أسرعَ رسولُ الله ﷺ إلى تنفيذ خُطة سلمانَ الفارسيّ - رضيَ اللهُ عنهُ- فوكَلَ إلى كُلّ عشرة رجال أنْ يحفرُوا من الخندق أربعين ذراعًا. وقامَ المسلمونَ بجدّ ونشاط يحفرونَ الخندقَ، ورسولُ الله ﷺ يحثُّهم ويساهمُ معهمُ في عملهم هذَا.

يقولُ سهلُ بنُ سعد : كنَّا معَ رسول الله ﷺ في الخندق، وهُم يحفرونَ، ونحنُ ننقلُ الترابَ علَى أكتافنا، فقالَ رسولُ الله ﷺ : «**اللهُمَّ لا عَيْشَ إلا عيشُ الآخرة ، فاغْفرْ للمُهاجرينَ والأنصَار**»[1].

(١) صحيح البخاري ، باب غزوة الخندق ٣ / ٥٨٨ ، وانظر الرحيق ص ٣٤٠ .

وقال أنسُ رضيَ ٱللَّهُ عنه : خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصارُ يحفرونَ في غداة باردة، فلمْ يكن لهُم عبيدٌ يعملونَ ذلكَ لهُم، فلمَّا رأى ما بهم من النصَب والجوع قالَ: «**اللهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجره**».

فقالُوا له مُجيبينَ :

نحنُ الذينَ بايَعُوا محمدًا

على الجهادِ ما بقِينا أبدًا

وقالَ البراءُ بنُ عازب : رأيتُه ﷺ ينقلُ من تراب الخندق حتَّى وارَى الغبارُ جلدةَ بطنه، وكانَ كثيرَ الشعر، فسمعتُه يرتجزُ بكلمات ابن رواحةَ، وهوَ ينقلُ الترابَ ويقولُ:

اللهمَّ لولا أنت ما اهتدينَا

ولا تصدَّقْنَا ولا صلَّيْنَا

فأنزِلَنْ سكينةً علينَا

وثبِّت الأقدامَ إن لاقَينَا

إنَّ الألَى قد بَغَوْا عَلَيْنا

وإن أرادوا فتنةً أبَيْنا[1]

(١) السابق نفسه .

معجزاتٌ وبشارةٌ

ظهر في غزوة الأحزاب الكثيرُ من المعجزات التي أجرَاها اللهُ تعالَى علَى يد رسوله ﷺ، وظهرتْ فيهَا عنايةُ الله عزَّ وجلَّ برسوله وبعباده المؤمنينَ الصادقين. ومنْ ذلكَ:

رأى جابرُ بنُ عبد الله في النبيّ ﷺ خمصًا (جوعًا) شديدًا، فذبح بَهْمَةً (ماعزًا)، وطحنَت امرأتُه صاعًا من شعير، ثم التمسَ من رسول الله ﷺ سرًّا أن يأتيَ في نفر منْ أصحابه، فقامَ النبيُّ ﷺ بجميع أهل الخندق.. وهمْ ألفٌ فأكلُوا منْ ذلكَ الطعام وشبعُوا، وبقيت بُرْمَةُ اللحم تغطُّ به كمَا هيَ، وبقي العجينُ يخبزُ كَمَا هو[1].

(١) صحيح البخاري ٢ / ٥٨٨، ٥٨٩.

وجاءتْ أختُ النعمان بن بشير بحفنة من تمر إلى الخندق ليتغدَّى أبوه وخالُه، فمرَّتْ برسول الله ﷺ، فطلبَ منها التمرَ وبدّدَه فوقَ ثوب، ثم دعَا أهلَ الخندق، فجعلُوا يأكلونَ منه، وجعلَ التمرُ يزيدُ حتَّى صدَرَ أهلُ الخندق عنهُ، وإنه يسقطُ من أطراف الثوب[1].

وقد حدث ذلك مرات كثيرة من رسول الله ﷺ بفضل بركته وتأييد الله تعالى له. وتكررت هذه المعجزة في مواقف عصيبة عانى فيها المسلمون من الجوع والعطش، فنبع الماء من بين يديه ومن إداوته التي يتوضأ منها، وكانت حفنات التمر القليلة تكفي العدد الكبير، يأكلون منها وتبقى كما هي.

من ذلك ما حدث في غزوة تبوك عندما أصاب الناس مجاعة وقل زادهم في ذلك الوقت،

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٢١٨.

فاستأذنوا الرسول ﷺ في نحر نواضحهم، وهي الإبل التي يستقون عليها الماء؛ ليأكلوا ويتخذوا من شحومها دهنا لهم. فوافقهم ﷺ ولكن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إن فعلت ذلك قل الظهر[1] ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله عليها بالبركة. فاستجاب رسول الله ﷺ لمشورة عمر، وبسط نطعا[2] ودعا بفضل أزوادهم، فجعل كل واحد يأتي بما عنده، ودعا رسول الله ﷺ بالبركة، واستجاب الله تعالى، فكثر الزاد، وعَمَّ الخيرُ والبركةُ، حتى أخذوا في أوعيتهم، بل إنه لم يبق في العسكر وعاء إلا ملأوه فأكلوا حتى شبعوا، وأخذوا ما أخذوا وفضل ما فضل إكراما من الله تعالى لرسوله ﷺ ومعجزة من معجزات رسول الله ﷺ الكثيرة التي

(١) الظهر: الدواب، وسميت بذلك لأنه يركب على ظهرها.

(٢) النطع: بساط من الجلد.

أيده الله بها.

ورُوي عنْ جابر - رضي الله عنه - قولُه : إنَّا يومَ الخندق لنحفرُ فعرَضتْ كُديةٌ (موقعٌ صلبٌ) شديدةٌ، فجاءُوا النبيَّ ﷺ، فقالُوا: هذه كديةٌ عرضَتْ في الخندق، فقالَ: «أنا نازلٌ». ثم قامَ وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا (لا نأكل شيئًا)، فأخذَ النبيُّ ﷺ المعْوَل فضربَ، فعادَ كثيبًا أهْيَلَ أو أهْيَمَ (أي تفتت)[1].

وبينَما كان المسلمون يعملونَ في حَفْر الخندق إذا بصخرة اشتدتْ عليهم؛ فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فأخذَ المعْوَلَ وقالَ: «بسم الله». وضربَ ضربةً فكسَرَ جزءًا من الصخرة فكبَّر صلواتُ الله وسلامُه عليْه، وقال: «أعطيتُ مفاتيحَ اليمن. والله إنّي لأبصرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا».

(١) صحيح البخاري.

ثمَّ قالَ: «بسم الله». وضربَ ضربةً ثانيةً، فكسرَ جزءًا آخرَ، فكبَّر صلواتُ الله وسلامُه عليه، وقالَ: «أعطيتُ مفاتيحَ الشام. والله إنّي لأبصرُ قصورَها الحُمرَ من مكاني هذَا».

ثمَّ قالَ: «بسم الله». وضربَ الثالثةَ، ثمَّ كبَّرَ، وقالَ: «أعطيتُ مفاتيحَ فارسَ، والله إنّي لأبصرُ قصرَ المدائن الأبيض الآن».

ثمَّ قالَ ﷺ لسلمانَ الفارسيّ: هذه فتوحٌ يفتحُها اللهُ بعدي يا سلمانُ.

وواصلَ المسلمونَ عملَهم في حفر الخندق حتَّى تكاملَ حفرُه حسبَ الخُطة المرسومة قبلَ أنْ يصلَ جيشُ الأحزاب إلى المدينة، واستعدَّ المسلمونَ لمعركة حاسمة يواجهونَ فيها أضخمَ جيش عرفَتهُ الجزيرةُ العربيةُ حتَّى ذلكَ الوقت.

غدر يهود بني قُرَيظَةَ

أقبلَ جيشُ الأحزاب في عشرة آلاف مقاتل، وبدأوا يقتربونَ من المدينة، وخرجَ رسولُ الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمينَ، وقدْ تحصَّنوا إلى جبل سَلْع، وجعَلُوا النساء والذَّراري في آطام المدينة (بينَ جبالها) بدون قوة لحراستهم، ولم يعُدْ بين المسلمينَ والكفار سوَى الخندق.

وفي هذه اللحظات الحرجَة غَدَرَ يهود بني قريظةَ الذينَ كانُوا على حلف وعهد مع المسلمينَ، فنقضُوا عهدَهم، وأرادوُا ضرْبَ الجيش الإسلاميّ من الخلف، وبدأوا يرسلونَ المُؤَن إلى جيش المشركينَ، وكانَ بعضُها يسقطُ في يد المسلمينَ. وأرسل رسولُ الله ﷺ مجموعةً

من أصحابه لحراسة النساء والذراري في آطام المدينة؛ خوفًا عليهم من غَدر يهود بني قريظةَ.

كانَ رسولُ الله ﷺ لا يفتُرُ[1] عن الدعاء والتضرُّع والاستغاثة، وكانَ من دعائه:

«اللهُمَّ مُنزلَ الكتاب، سريعَ الحساب، اهزم الأحزابَ، اللهمَّ اهزمْهُم وزلزلهم»[2].

وقد اقتحمتْ خيلٌ للمشركينَ الخندقَ منْ مكان ضيّق، فأبصرَهم عليُّ بنُ أبي طالب، وجماعةٌ من المسلمينَ، وأحاطُوا بهم فولّوْا منهزمينَ.

أرادَ رسولُ الله ﷺ أن يأمنَ جانبًا من جيش الأحزاب فبعثَ إلى عُيَيْنَةَ بن حصن قائد غطفان، يعرضُ عليه ثُلُثَ تمر المدينة علَى أنْ يرجعَ بمنْ معَه من غطفانَ. وعلم سعدُ بنُ معاذ وسعدُ بنُ عبادةَ بذلكَ، فقالا:

---

(١) أي لا يسكتُ ولا يهدأ، بل يُواصِلُ الدُّعاء والتضرُّعَ إلى الله تعالى.

(٢) رواه البخاري.

- يا رسولَ الله ، أهذَا الذي بعثتَ به إلى عيينةَ ابن حصن أمرٌ أمرَكَ به ربُّكَ أم هُوَ صنيعةٌ تصنَعُها لنا؟

فقال ﷺ :

- لا ، بلْ هوَ صنيعةٌ أصنعُها لكُم من شدَّة الأمر عليكُم.

فقالَ سعدُ بنُ معاذ :

- يا رسولَ الله ، لقد كنَّا نحنُ وهؤلاء القومُ علَى الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبدُ اللهَ ولا نعرفهُ، وكانَ هؤلاء لا يطمعُونَ أنْ يأكلُوا تمرةً واحدةً من تمر المدينة إلا عن قرًى (ضيافة) أو بَيْع. أفَحينَ أكرَمَنا اللهُ بالإسلام، وهدَانَا إليه، وأعزَّنا بك وبه سبحانَه نعطيهم أموالَنا؟!

والله لا نعطيهم إلا السيف حتَّى يحكُم اللهُ بينَنا وبينهم.

فقالَ رسولُ الله ﷺ وقد استحسنَ هذَا الرأيَ :

- يا سعدُ أنتَ وذاكَ.

الرياحُ وهزيمةُ الأحزاب

كانَ المسلمونَ طوالَ حصار المشركينَ لهُمْ يدعونَ اللهَ تعالَى: «اللهمَّ استُر عوراتنا وآمنْ رَوْعاتنا»، ورسولُ الله يدعُو علَى الأحزاب: «اللهمَّ منزلَ الكتاب، سريعَ الحساب، اهزم الأحزابَ، اللهمَّ اهزمهُم وزلزلْهُم».

وقد سمعَ اللهُ دعاءَ رسوله والمسلمينَ، فدبَّت الفُرقةُ في صفوف المشركينَ، وسرَى بينَهم التخاذلُ، وأرسلَ اللهُ عليهم جندًا من الريح فجعلتْ تقوِّض[1] خيامَهم، ولا تدَعُ لهُم قِدْرًا إلا كَفَأتْها، ولا طُنُبًا[2] إلا قَلعَتْه، ولا يقرُّ لهمْ قرارٌ،

(١) أي تخلعها.

(٢) الطنب: حبل يشد به الخيمة والسرادق.

وأرسلَ جندًا من الملائكة يزلزلونَهم، ويُلقون في قلوبهم الرعبَ.

وأرسلَ رسولُ الله ﷺ في تلكَ الليلة الباردة القارسة حذيفةَ بنَ اليمان يأتيه بخبرهم، فوجدَهم على هذه الحال، وقد تهيَّأوا للرحيل، فرجعَ إلى رسول الله ﷺ فأخبَره برحيل القوم، فأصبحَ رسولُ الله ﷺ وقد ردَّ اللهُ عدوَّه بغيظهم لم ينالُوا خيرًا، وكفَاه اللهُ قتالَهم، فصدَقَ وعدَه وأعزّ جُندَه، ونصرَ عبْدَه، وهزَمَ الأحزابَ وحدَه، فرجَع إلى المدينة[1].

وقد وقعتْ غزوة الخندق (الأحزاب) في شهر شوال منَ السنة الخامسة منَ الهجرة.

ولم تكنْ معركةَ خسائرَ، بلْ كانتْ معركةَ أعصاب، لم يجر فيهَا قتالٌ مريرٌ إلا أنَّها كانتْ من

(١) الرحيق المختوم ص ٣٥١ بتصرف.

أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، تمخَّضَتْ عن تخاذُل المشركينَ، وأفادتْ أنَّ أيَّة قوة من قوات العرب لا تستطيعُ استئصالَ القوة الصغيرة التي تنمُو في المدينة؛ لأنَّ العربَ لمْ تكنْ تستطيعُ أن تأتيَ بجمع أقوَى ممَّا أتت به في غَزوة الأحزاب. ولذلكَ قالَ رسولُ الله ﷺ حينَ أجلَى اللهُ الأحزابَ:

«الآن نغزُوهم لا يغزُونَنَا، نحنُ نسيرُ إليهم»[1].

(١) السابق نفسه، وصحيح البخاري ٢ / ٥٩٠.

غَزوةُ بني قُرَيْظَةَ

لمَّا رجعَ رسولُ الله ﷺ من غزوة الخندق، ووضعَ السّلاحَ واغتسلَ، أتاه جبريلُ عليه السلام فقال: «قد وضعتَ السلاحَ؟ والله ما وضعناهُ، فاخرُج إليهم». قالَ: «فإلى أين؟». قالَ: «هَهُنا»، وأشارَ إلى بني قريظةَ.

وهمُ الذينَ غدَرُوا بالمسلمينَ ونقضُوا العهدَ وأرادُوا ضَرْبَ المسلمينَ من الخلف وهم في ساعة حرجة يواجهونَ جيشَ الأحزاب.

فخرجَ رسولُ الله على الفور، ونادَى المسلمينَ: «ألا لا يصلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بَني قريظةَ». فسارَ الناسُ، فأدركَ بعضُهم العصرَ في الطريق؟ فقالَ بعضُهم: لا نصلّي حتَّى نأتيَها. وقالَ بعضُهم: بَلْ نصلّي.. ولم يُرد الرسولُ مِنَّا

ذلكَ.

فلمَّا ذكرُوا ذلكَ للنبيّ ﷺ لم يعنّفْ واحدًا منهم[1]، بلْ أقرَّهُم جميعًا على اجتهادهم.

وأرسلَ الرسولُ ﷺ عليَّ بنَ أي طالب إلى بني قريظةَ، ومعَه رايتُه فاتَّبَعَها الناسُ، ولحقَ رسولُ الله ﷺ به، وتلاحقَ المسلمونَ، وحاصرَ رسولُ الله ﷺ بني قريظةَ - وهم متحصّنونَ في حصونهم- خمسًا وعشرينَ ليلةً، حتَّى أتعبَهُم الحصارُ، وقذَفَ اللهُ في قلوبهم الرعبَ. ولما رأوْا أنَّ رسولَ الله ﷺ غيرُ منصرف عنهُم نزلُوا على حكمه، وكانَ بينَهم وبينَ الأوس حِلْفٌ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ الحكمَ لواحد من رؤساء الأوس، وهو سعد بنُ معاذ، وكانَ قدْ أصيبَ بسهم في غزوة الخندق، فكانَ يداوَى في خيمة

(١) رواه البخاري ومسلم.

هناكَ، فلما دنا من مكان أعدّوه هناكَ.. قالَ رسولُ الله ﷺ للأنصار: «قومُوا إلى سيّدكُم»، ثمَّ أشارَ إلى بني قريظة قائلاً: «إن هؤلاء نزلُوا علَى حكمك».

فقالَ سعدٌ رضيَ اللهَ عنُه: «تُقْتَلُ مُقاتلَتُهم وتُسبَى ذُرّيَتُهم».

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لقدْ حكمتَ فيهم بحُكم الله من فوق سبع سماوات».

وتمَّ تنفيذُ الحكم في أهل الغدر والخيانة.

صُلْحُ الحُدَيْبية

الطريقُ إلى مكةَ

طالَ شوقُ الرسول ﷺ وصحابته - رضوانُ الله عليهم - إلى مكةَ المكرمة وزيارة البيت الحرام، وقدْ زادَ أملُهم في دخول مكَّةَ بعدَ نصر الله لهُم علَى الأحزاب في غزوة الخندق.

ورأى رسولُ الله ﷺ في المنام أنَّه دخلَ هُوَ وأصحابُه المسجدَ الحرامَ آمنينَ محلّقين رءوسَهم ومُقصّرين لا يخافونَ، وأخذَ مفتاحَ الكعبة، وطافُوا واعتَمَرُوا، فاستبشرَ رسولُ الله ﷺ بهذه الرؤيَا، وأخبرَ صحابتَه بِهَا ففرحُوا، وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم هذا.

وأخبرَ رسولُ الله صحابَته أنه مُعتمرٌ فتجهَّزُوا للسفر، واستنفر العربَ، ومَنْ حولَه من أهل

البوادي من الأعراب ليخرجُوا معَه، وهوَ يخشَى من قريش أنْ يعرضوا له بحرب أو يصُدُّوه عَن البيت الحرام، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرجَ رسولُ الله ﷺ بِمَنْ معَه من المهاجرينَ والأنصار، ومن لحقَ به من العرب، وأحرمَ بالعمرة ليأمنَ الناسُ من حربه، وليعلَمَ الناسُ أنَّه إنما خرَج زائرًا لهذَا البيت ومعظّمًا له[1].

وكانَ عددُ مَن خرجَ معَ النبيّ ﷺ ألفًا وأربعمائة، وذلكَ في يوم الإثنين غُرةَ ذي القعدة سنةَ ٦ هـ.

وكانتْ قريشٌ لمَّا سمعَتْ بخروج النبيّ ﷺ عقدتْ مجلسًا قرَّرَتْ فيه صدَّ المسلمينَ عن البيت بكلّ ما يمكنُ من الوسائل، ونقلَ رجلٌ من بني كعب إلى رسول الله ﷺ أن قريشًا نازلةٌ بذي

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٩.

طُوَى، وأن مائتيْ فارس بقيادة خالد بن الوليد مرابطةٌ بكُراع العميم، في الطريق الرئيسي الذي يوصلُ إلى مكةَ. وقدْ حاولَ خالدٌ صدَّ المسلمين، فقامَ بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان، ورَأى خالدٌ المسلمينَ في صلاة الظهر يركعونَ ويسجُدونَ، فقالَ: لقدْ كانُوا على غرَّة، لو كنَّا حملْنَا عليهم لأصبْنَا منهم.

ثمَّ قَرَّرَ أن يميلَ علَى المسلمينَ - وهمْ في صلاة العصر- ميلةً واحدة، ولكنْ أُنْزِلَ حكمُ صلاة الخوف، ففاتت الفرصةُ على خالد[1].

فلمَّا اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ أتاهُ بديلُ بنُ ورقاءَ الخُزاعيُّ في رجال من خُزاعةَ، فكلَّمُوه وسألُوه:

- ما الذي جاء بك ؟!

فأخبرَهم أنَّه لم يأت يريدُ حربًا، وإنما جاءَ زائرًا

(١) الرحيق المختوم ٣٧٩.

للبيت، ومعظّمًا لحرماته.

فرجَعُوا إلى قريش فقالُوا:

- يا معشرَ قريش، إنَّكم تعجلونَ على محمَّد. إن محمدًا لمْ يأت لقتال، وإنمَا جاءَ زائرًا لهذا البيت[1].

ولكنَّ زعماءَ قريش لم يصدّقُوا ذلكَ وقالُوا:

- إنْ كانَ جاءَ ولا يريدُ قتالاً، فوالله لا يدخلُها علينَا عَنْوةً أبدًا. ولا تُحَدّثُ بذلك عنَّا العربُ.

وأرسلتْ قريشٌ عددًا من الرسل إلى الرسول ﷺ لتستوثقَ من الأمر، فأخبرَهم رسولُ الله ﷺ بمثل ما قالَه لبديل بن ورقاءَ.

ثمَّ دعا رسولُ الله ﷺ عمرَ بنَ الخطاب ليبعَثَه إلى مكةَ، فيبلّغ عَنه أشراف قريش بسبب مجيئه إليهم، فقالَ: يا رسولَ الله، إنِّي أخافُ قريشًا

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٠٢ بتصرف.

علَى نفسي. وليسَ بمكةَ من بني عديّ بن كعب أحدٌ يمنعني، وقد عرفَتْ قريشٌ عداوتي إيَّاها وغلْظتي عليهَا، ولكنّي أدلُّك عَلَى رجل أعزَّ بِهَا مني، عُثمان بن عَفَّان.

فدعَا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ فبعَثَه إلى أبي سُفيانَ وأشراف قريش يخبرُهم أنَّه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاءَ زائرًا لهذَا البيت، ومعظّمًا لحرمته.

فخرجَ عثمانُ إلى مكةَ، فلقيَه أبانُ بنُ سعيد بن العاص، فحملَه بَيْنَ يديْه، ثمَّ أجارَه حتى بلَّغَ رسالةَ رسول الله ﷺ، فانطلقَ عثمان حتى أتى أبا سفيان، وزعماء قريش، فبلَّغهم عنْ رسول الله ﷺ ما أرسلَه به، فقالوا لعثمانَ حينَ فرغَ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئتَ أن تطوفَ بالبيت فَطُفْ.. فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ:

- ما كنتُ لأفعلَ حتَّى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ.

واحتبسَتْ قريشُ عثمانَ عندَها حتَّى يتشاوَرُوا في أمرهم، فأشيعَ بينَ المسلمينَ أن عثمانَ بنَ عفانَ قد قُتلَ.

بيْعَةُ الرّضوان

قالَ رسولُ الله ﷺ لمَّا بلغَه أن عثمانَ قُتلَ: لا نبرحُ حتَّى نناجزَ القومَ.

ثمَّ دعا أصحابَه إلى البيعة، فثارُوا إليه يبايعونَه علَى أن لا يفرّوا، وبايعَه جماعةٌ على الموت، وأوّل من بايعَه أبو سنان الأسديُّ، وأبو سلَمَةَ بنُ الأكوَع، وأخذ رسولُ الله ﷺ بيد نفسه، وقالَ: هذه عنْ عثمانَ، فلمْ يكُن قد تأكَّدَ خبرُ قتله. ولم يتخلَّفْ عن هذه البيعة إلا رجلٌ من المنافقينَ يقالُ له جدُّ بنُ قيس.

أخذَ رسولُ الله ﷺ هذه البيعةَ تحتَ شجرة، وكان عُمَرُ آخذًا بيده ومعقلُ بن يسار آخذًا بغُصن الشجرة يرفعُه عنْ رسول الله ﷺ. وهذه البيعةُ

هي بيعةُ الرّضوان[1] التي أنزلَ اللهُ فيها: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

(١) الرحيق المختوم ٤٠٣ بتصرف.

إبرامُ صلح الحُدَيبية[1]

عرفتْ قريشٌ حرجَ الموقف، فأسرعتْ إلى بَعْث سهيل بن عمرو لعقد الصلح، وأكَّدَتْ له أن لا يكونَ في الصلح إلا أنْ يرجعَ عنَّا عامَهُ هذا، لا تتحدَّث العربُ عنا أنَّه دخلَها علينا عَنْوَةً أبدًا.

فأتاهُ سهيلُ بنُ عمرو، فلمَّا رآه الرسولُ ﷺ قالَ:

- قد سَهُلَ لكُم أمرُكم، أرادَ القومُ الصلحَ حينَ بعثُوا هذَا الرجلَ. فجاءَ سُهيلٌ فتكلم طويلًا، ثم اتَّفَقا علَى قواعد الصلح أو بنوده.

بُنود الصُّلح:

١ - يرجعُ الرسول ﷺ من عامه، فلا يدخلُ

(١) الحديبية: قرية في مكة قريبة من الحرم.

مكةَ، وإذا كانَ العامُ القابلُ دخلَها المسلمونَ فأقامُوا بها ثلاثًا، معَهُم سلاحُ الراكب، السيوفُ في القُرب، ولا تتعرّضُ قريشٌ لهُم بأيّ نوع من أنواع التعرّض.

٢ - وضعُ الحرب بينَ الطرفين عشرَ سنينَ، يأمنُ فيهَا الناسُ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض.

٣ - مَن أحبَّ أن يدخلَ في عقد محمد وعهده دخلَ فيه، ومَن أحبَّ أنْ يدخُلَ في عقد قريش وعهدهم دخلَ فيه، وتُعَدُّ القبيلةُ التي تنضمُّ إلى أيّ الفريقين جزءًا من ذلكَ الفريق، فأيّ عدوان تتعرضُ له أيُّ من هذه القبائل يعدُّ عدوانًا علَى ذلكَ الفريق.

٤ - مَن أتَى محمدًا من قريش من غير إذن وليّه - أيْ هاربًا منهم - ردَّه علَيْهم، ومن جاءَ قريشًا مِمَّنْ مَعَ محمد - أي هاربًا منه - لم يُرَدَّ إليه.

ودعَا رسولُ الله ﷺ عليًا ليكتُبَ الكتابَ، فأملَى

علَيه «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيلٌ: أمَّا الرحمنُ فوالله لا ندري مَا هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم. فأمر رسول الله ﷺ عليًّا بذلك.

ثمَّ أملَى: «هذا ما صالحَ عليه محمدٌ رسولُ الله». فقالَ سهيلٌ: لو نعلمُ أنَّكَ رسولُ الله ما صَدَدْناكَ عن البيت، ولا قاتلناكَ، ولكن اكتُب: محمدُ بنُ عبد الله.

فقالَ ﷺ: إنّي رسولُ الله وإن كذَّبتمُوني. وأمر عليًّا أن يكتبَ محمدُ بنُ عبد الله، ويمحُو لفظَ رسول الله، فأبى عليٌّ أن يمحوَ هذَا اللفظ، فمحَاهُ ﷺ بيده بعدَ أنْ دلَّه علَى مكانه عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ، ثمَّ تمَّتْ كتابةُ الصحيفة.

ولمَّا تمَّ الصلح دخلَتْ خُزاعةُ في عهد رسول الله ﷺ، ودخلتْ بنو بكر في حلف قريش[1].

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٠٥، الرحيق المختوم ٤٠٥ بتصرف.

والمتأمّلُ في شروط صُلح الحُديبية يجدُ فيهَا مكاسبَ كثيرةً للمسلمينَ، وإنْ كانَ قدْ ظهرَ في بعض الشروط أنهَا أجْحَفَتْ بهم. ومن هذه المكاسب اعترافُ قريش بهم، ووَضْعُ الحرب بينَ الفريقين مما يُهيئ الفرصةَ للمسلمينَ لنشر الدعوة في الجزيرة العربية خلالَ فترة الهُدنة، وكذلكَ تمكينُ المسلمينَ من دخول البيت الحرام في العام التالي.

واعترضَ كثيرٌ من المسلمينَ على البند الذي يقولَ إنَّ مَنْ ذهبَ إلى المسلمينَ ردُّوه، ومَن جاءَ الكفارَ من المسلمينَ لا يردونَهُ، وقالوا:

- أتكتبُ هذَا يا رسولَ الله ؟!

فقالَ :

- نعمْ، إنه مَنْ ذهبَ منَّا إليهم فأبعدَه اللهُ، ومنْ جاءَنا منهم فسيجعل الله له فرجًا ومخرجًا[1].

(١) رواه مسلم.

ولقد قَبلَ رسولُ الله ﷺ هذَا الشرطَ علَى ما فيه من ظلم وإجحاف، لثقته في ربّه سبحانَه وتعالَى وأنهُ سينصُرُه، ويجعلُ للمسلمينَ من ضيقهم مخرجًا.

وواقعُ الأمر يقولُ إن من ارتدَّ عن دينه ولحقَ بمعسكر المشركينَ فلا حاجةَ للمسلمينَ إليه، معَ أنَّ هذَا لمْ يحدُثْ، وأنَّ مَن أسلمَ ولحقَ بمعسكر المسلمينَ فإنَّه ثابتٌ علَى إسلامه حتَّى لو أعادَه المسلمونَ إلى قريش، وسيجعلُ اللهُ له فرجًا ومخرجًا.

ولقدْ أدركَ المسلمونَ بعدَ ذلكَ بُعدَ نظر رسولهم ﷺ، وأيقنُوا أنَّ رأيَ الرسول ﷺ أعظمُ بركةً من رأيهم.

تذكّر

موجزُ الأحداث من سنة ٤ ـ ٦ هـ

* في هلال المحرَّم سنة ٤ هـ أرسلَ رسولُ الله ﷺ سريةً بقيادة أبي سلمةَ قوامُها مائةٌ وخمسونَ مقاتلاً لمواجهة بني أسد بن خزيمةَ الذينَ دعَوْا إلى حرب المسلمينَ، فهجمَ علَيهم أبو سلمةَ وشتَّتَهُم.

* وفي الخامس من شهر المحرم سنةَ ٤ هـ أرسلَ رسولُ الله ﷺ سريةً أخرَى بقيادة عبد الله ابن أنيس لمواجهة خالد بن سفيانَ الهذليّ، الذي كانَ يحشدُ الجموع لمحاربة المسلمينَ. . فانطلق عبدُ الله بنُ أنيس وتمكَّنَ من قتل خالد الهذليّ.

* وفي شهر صفر ٤ هـ كانتْ مأساةُ يوم الرجيع فقدْ غدَرَ بنُو هذيل بعشرة منْ صحابة رسول الله

ﷺ وقتلُوهُم عنْ آخرهم وباعُوا منهم اثنين إلَى أهل مكَة قتلوهُما وهمَا خبيبُ بنُ عديّ وزيدُ بنُ الدثنَة.

* وفي الشهر نفسه من عام ٤ هـ وقعتْ مأساةٌ أشدُّ من مأساة الرَّجيع، وهيَ التي تعرَفُ بيوم بئر معونة، إذ غدرَ عامرُ بنُ الطفيل بسبعينَ من صحابة رسول الله ﷺ وكانوا من حفظة القرآن الكريم، فاستنفرَ عليهم عدوُّ الله القبائل فأجابَتْهُ (عصيةُ) و(رعلُ) و(ذكوانُ)، فجاءُوا فأحاطوا بأصحاب الرسول فقاتلُوهم حتَّى قتلُوهم عن آخرهم.

* وفي ربيع الأول سنةَ ٤ هـ كانتْ غزوةُ بني النضير، إذ تآمرَ يهودُ بني النضير لقتل رسول الله ﷺ، وأعلُنوا نقضَ العهد معَه، فقامَ بحصارهم حتَّى استسلَمُوا وأجلاهم عن المدينة.

* وفي شعبان سنة ٤ هـ خرجَ رسولُ الله ﷺ

لموعده معَ قريش عندَ بدر، ولكنَّ قريشًا انخذلَتْ ولمْ يَقَع قتالٌ، وسُمّيَتْ هذه الغزوةُ ببدر الثانية.

* وفي ربيع الأول سنةَ ٥ هـ وقعتْ غزوةُ (دومة الجندل) وفيهَا خرجَ رسولُ الله ﷺ لتأديب قبائلَ كانتْ تقطعُ الطريقَ عندَ (دومة الجندل) قريبًا من الشام.

* وفي شوال سنة ٥ هـ ألّب اليهودُ قبائلَ العرب ضدَّ المسلمين وخرج جيشٌ كبيرٌ قوامُه عشرةُ آلاف مقاتل لغزو المدينة وإبادة المسلمينَ، وقامَ المسلمونَ بحفر خندق حولَ المدينة، وكانُوا في موقف حرج أمامَ قوَّة (الأحزاب)، ولكنَّ اللهَ نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزَم الأحزابَ وحدَه، فأرسلَ ريحًا شديدةً قلعتْ خيامَ جيش الأحزاب فانصرَفُوا هاربينَ، وسمّيتْ هذه الغزوةُ بـ(غزوة الأحزاب) أو (غزوة الخندق).

* وفي الشهر نفسه ، وفي اليوم التالي لغزوة

الأحزاب حاصرَ المسلمونَ بني قريظةَ الذينَ نقضُوا عهدَهم معَ المسلمينَ وأرادُوا ضربَ المسلمينَ من الخلف أثناءَ غزوة الخندق، فنفَّذ فيهم رسولُ الله ﷺ حُكمَ الله، فقتل مقاتليهم وسَبَى الذراري والنساءَ.

* وفي الفترة من المحرَّم إلى رجب سنة ٦ هـ أرسل رسول الله ﷺ عددًا من السرايَا و البُعوث لتأديب القبائل التي تآمرتْ علَى المسلمينَ أو غدرَتْ بهم أثناءَ الحرب مع قريش.

* وفي شعبانَ سنةَ ٦ هـ وقعتْ غزوةُ بني المصْطَلَقْ (أو المُريسيع). وسببُها أن رئيسَ بني المصطَلق الحارثَ بنَ أبي ضرار سارَ في قومه، ومَن قدرَ عليه من العرب يريدونَ حربَ رسول الله ﷺ، فخرجَ لقتالهم، وكانَ النصرُ للمسلمينَ بفضل الله، وانهزمَ المشركونَ.

* وفي ذي القعدة سنةَ ٦ هـ تمّ إبرامُ صلح

الحديبية بينَ رسول الله ﷺ وقريش، وكانَ أهمَّ بنوده أن يدخلَ المسلمون مكّةَ لأداء العمرة في العام القابل سنةَ ٧ هـ، وأنْ توضَعَ الحربُ بينَ الفريقين عشْرةَ أعوام.

* وفي أواخر السنة السادسة للهجرة حينَ رجعَ رسولُ الله ﷺ من الحديبية كتبَ إلى الملوك والزعماء يدعُوهم إلى الإسلام .

الفهرس

مقدمة 5

غزوة بدر الثانية 7

غزوة الأحزاب 10

اليهود وتأليب الأحزاب 10

حفر الخندق 12

معجزات وبشارة 15

غدر يهود بني قريظة 20

الرياح وهزيمة الأحزاب 23

غزوة بني قريظة 26

صلح الحديبية .. الطريق إلى مكة 29

بيعة الرضوان 35

إبرام صلح الحديبية 37

تذكر : موجز الأحداث من سنة ٤ - ٦ هـ 42